ظاهرة العدول عن المطابقة في كتاب التفصيل في إعراب آيات التنزيل، تأليف:(الدكتور عبد اللطيف الخطيب، والدكتور سعد مصلوح، والأستاذ رجب حسن العلوش).

الباحثة : ابتسام عبد الرزاق صالح

أ. م. د. بشير سعيد سهر

جامعة البصرة_ كلية التربية للعلوم الإنسانية_ قسم اللغة العربية

خلاصة البحث:

يتناول هذا البحث ظاهرة مهمة وواسعة من ظواهر النحو العربي هي ظاهرة (العدول عن المطابقة) وذلك في كتابٍ خاصٍ بإعراب القرآن الكريم عنوانه:(التفصيل في إعراب آيات التنزيل)، ألّفه ثلاثة من علماء اللغة المعاصرين وهم كلّ من الدكتور:(عبد اللطيف الخطيب، والدكتور سعد عبد العزيز مصلوح، والأستاذ رجب حسن العلوش)، وقد كان الهدف من هذا البحث هو تسليط الضوء على هذه الظاهرة البارزة عند المؤلفين وكيفية استعمالها في توجيههم لإعراب القرآن الكريم، مع موازنة تلك التوجيهات الإعرابية بما رصَده الكتاب من أعاريب النحاة الأقدمين سواء بالموافقة أو المخالفة وتعليل سبب ترجيح المؤلفين لرأيٍ من دون آخر.

الكلمات المفتاحية: الظاهرة ، المطابقة ، العدول ،القاعدة النحوية ،إعراب القرآن الكريم .

The Phenomenon of Deviating from Conformity in the book "Al Tafseel fi Araab Ayyat Al –Tanzeel" by Dr. Abdul Latif Al-Khatib, Dr. Saad Masloh, and Mr. Rajab Hassan Al-Aloush.

Researcher: Ibtisam Abdul Razzaq Saleh

Asst. Prof. Dr. Basheer Saeed Sahr

Dept. of Arabic Language, College of Education for Human Sciences,
University of Basrah

Abstract:

This research addresses an important and wide-ranging phenomenon in Arabic grammar, which is the phenomenon of 'deviation from conformity,' as found in a dedicated book on the grammatical analysis (parsing) of the Holy Quran which is entitled " Al Tafseel fi Araab Ayyat Al –Tanzeel". Three contemporary linguists, Dr. Abdul Latif Al-Khatib, Dr. Saad Abdul Aziz Maslouh, and Mr. Rajab Hassan Al-Aloush, authored it. The aim of this research was to shed light on this prominent phenomenon among authors and how they use it in directing their parsing of the Quran. In addition, the research presented a comparative analysis of these grammatical guidelines with what the book has documented regarding the ancient grammarians' parsing, whether in agreement or disagreement, and an explanation of the reasons for the authors' preference for one opinion over another.

Key words: The phenomenon, Conformity, Deviation, grammatical rule, Quranic parsing .

مقدمة البحث:

لقد ارتأت الباحثة أنَّه من الأنسب أنْ يكون لهذه الظاهرة بحثٌ خاصٌ مستقلٌ؛ وذلك لما فيها من اتساعٍ وشمول؛ إذ يمكن أنْ يُدرج تحت ظاهرة العدول عن المطابقة ظواهر نحوية وأسلوبية أخَرى؛ منها (الحمل على المعنى، و الحمل على التوهُّم، و الحمل على المجاورة)؛ وقد تتسع هذه الظاهرة لتشمل كلّ مفارقة أو عدول أو انزياح ومغايرة أو خروج عن المستوى الكلامي المألوف أو القواعد اللغوية والنحوية المعتادة، ولم يغفل النحاة والمفسرون عن رصد هذه الظاهرة اللافتة للنظر وتسليط الضوء على مواضعها في القرآن الكريم.

فمِن المعلوم أنَّ كتاب الله بحرٌ بلا ساحل، أسراره غزيرة وأغواره عميقة، فقد يخرج نظمُه عن المألوف والمعتاد فيأتي بالمدهش والبديع من المعاني التي قد توافق قواعد المعايير النحوية المعروفة، أو تَعدِل عن القاعدة فتدعو الى الإعجاب والانبهار فيما تحقّقه من معانٍ بلاغية جديدة.

والعدول عن المطابقة ظاهرة مهمة من الظواهر الأسلوبية التي كان لها أثرٌ بارزٌ في الدراسات اللغوية في مستوياتها جميعها ؛ الصوتية والصرفية والنحوية، والمطابقة: هي الموافقة والمشابهة والمقاربة، وقد اشتقت من الفعل الرباعي:(طابَق) الذي يفيد المشاركة؛ ويعد مصطلح المطابقة من المصطلحات المشتركة عند علماء النحو والبلاغة، إلَّا إنَّ استعمالها ومعناها متباين بين الاتجاهين النحوي والبلاغي ؛ فقد استعمل البلاغيون مصطلح (الطباق)؛ و قصَدوا به الجمع بين المعنى وضدَّه، والمطابقة عندهم هي: مطابقة مقتضى الحال ،وهذا هو حدُّ البلاغة في كتبهم، وقد اهتمَّ النحاة بالمطابقة قديماً وحديثاً إلَّا إنَّ القدماء لم يُفردوا لها مبحثاً خاصاً في كتبهم ولم يعرفوها بهذا المصطلح؛ بل كانوا يُطلقون عليها مسمَّى (المخالفة)[١].

وقد جاء الحديث عنها متناثراً في كتبهم: كوجوب المطابقة بين المبتدأ والخبر مثلاً وهذا ما أشار إليه بعض المحدثين، فقد ذكر الدكتور تمام حسان أنَّ الحديث عن هذه الظاهرة كان غير مقصودٍ لذاته، وقد ورد متناثراً في كتب النحو وهو يتبع حديثهم عن الأحكام النحوية[٢] .

والمطابقة: تعني الاتفاق بين كلمتين أو أكثر في عدد من العناصر كالتأنيث والتذكير، والإفراد والتثنية والجمع والتنكير والتعريف وغيرها، والعدول هو: العَدلُ عن الشيء والانحراف عنه، فحين يحصل العدول عن بعض هذه العناصر لغرضٍ أسلوبي أو إعجازٍ بياني فهذا خروج عن النمط المألوف أو المعتاد والتحوّل عنه يسمى: ظاهرة (العدول عن المطابقة)[٣].

وقد آثرت بعض الدراسات الحديثة مصطلحاتٍ مرادفة للعدول منها: الانحراف، أو الخروج، و الانزياح، والانتهاك، ويبدو أنَّ مصطلحي الانحراف والانزياح من المصطلحات الشائعة في الدراسات الأسلوبية، و فيه تكشف الدلالات الوجدانية والتأثيرية للاستعمال اللغوي الخارج أو المنحرف عن المستوى اللغوي المعتاد(٤).

وقد آثر بعض المحدثين مصطلح (العدول) على مرادفاته الأخَر؛ فقد أوضح الدكتور عمر خليل ما يختص به هذا المصطلح بقوله: ((لأنَّ هذا المصطلح ألصق بالتراث البلاغي والنقدي العربي كما إنَّه الأقدر على توصيف الظاهرة موضوع البحث دون إيحاء الخطأ الذي تحمله بعض المصطلحات الأخرى))(٥).

ويمكن أنْ تكشف ظاهرة العدول عن المطابقة عن شحناتٍ تعبيرية وتأثيراتٍ دلالية في النصوص الكلامية العالية ولاسيما في أساليب التعبير القرآني المتفرِّدة، وهي دلالات أسلوبية ما كانت لتظهر لولا مفارقتها لمستوى التعبير الكلامي المألوف، إذن هي أسلوب من أساليب التصرُّف الإبداعي المفارق والمغاير للنمط الشكلي المألوف(٦)، ومع استعمال ظاهرة العدول عن المطابقة فلا بدَّ من إظهار خصوصيته البلاغية و مراعاة العلاقة بين أسلوب التركيب اللافت والمفارق مع سياق النصّ القرآني وإظهار خصوصيته البلاغية وإظهار خفاياه وأسراره الاعجازية الكامنة بشكل يليق بقداسته(٧)، ومن مظاهر هذه الظاهرة:

أولاً: العدول عن المطابقة العددية.

ثانياً: العدول عن المطابقة في التذكير والتأنيث.

ثالثاً: العدول عن المطابقة في التعريف والتنكير.

رابعاً: العدول عن المطابقة في الحركة الإعرابية.

وسيعرض البحث لهذه الظاهرة الأسلوبية ويرصد مواضعها في كتاب (التفصيل في إعراب آيات التنزيل) مبيناً موقف مؤلفي الكتاب من ظاهرة العدول عن المطابقة كما يأتي:

أولاً: العدول عن المطابقة العددية:

مثَّلت بعض الشواهد النحوية خروجاً عن مقتضى القواعد اللغوية التي أقرَّها النظام اللغوي، فاحتار العلماء في تأويلها وارجاعها إلى مستوى القاعدة المألوفة، وقد يأتي ذلك متمثلاً بالصور التي يتجلى فيها العدول عن المطابقة والملازمة بين أجزاء الجملة في عناصر عدَّة ، ومنها المطابقة العددية المقرَّرة بين أجزاء الجملة بين المسند والمسند إليه على سبيل المثال فيحصل عدول عن التطابق بين المبتدأ والخبر من حيث الإفراد والتثنية والجمع فيذهب العلماء لتفسير هذا الأمر في قواعدهم الثابتة كل مذهب؛ حتى يعيدوها إلى مسارها المألوف(٨).

وقد ذكر الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ الأصل في العربية هو المطابقة في العدد بين المسند والمسند إليه، وأي عدول عن تلك المطابقة فهو لأغراضٍ أسلوبية أو بلاغية يقتضيها السياق(٩).

ومن ذلك العدول عن المطابقة في العدد بين المبتدأ والخبر ما جاء به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ عَلَيكَ ٱلكِتَٰبَ مِنهُ ءَايَٰت مُّحكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰت ﴾ ـــــــــــ [آل عمران:٧]؛ إذ يبدو المبتدأ وهو الضمير المنفصل (هن) جمعاً، والخبر (أمَّ) مفرداً فتأول المعربون والمفسرون لها العدول عن المطابقة العددية بأن ورود الخبر على صورة الإفراد فيه دلالة على إنَّ الآيات جميعها بمنزلة الآية الواحدة، لهذا أفرد الخبر على هذا المعنى، وهذا ما يراه أهلُ التفسير(١٠)، أي كل آية من الآيات هي (أم الكتاب) بمجموعها ومضمونها و(أم الكتاب) بمعنى: أصل الكتاب(١١)، وللأستاذ محيي الدين الدرويش رأيٌ مغاير؛ إذ يرى أنَّ كل آية بمثابة أمّ واحدة؛ لذا أخبر عن الجمع بالواحد(١٢).

في حين ذهب أصحاب كتاب (التفصيل في إعراب آيات التنزيل) مذهب أغلب أهل التفسير في تأويل الإخبار عن ضمير الجمع بلفظ المفرد؛ ففيه دليلٌ على شمول الآيات المحكمات بحكمٍ واحد قد اشتركت فيه جميعها، وهو أنْ تكون بمضمونها بمثابة الشيء الواحد(١٣).

فالعدول عن المطابقة العددية في هذه الآية أدَّى إلى معنى أبلغ وأشمل في التعبير عن دخول جميع الآيات وشمولها بوصف واحد هو أنْ تكون أصلاً ثابتاً من أصول القرآن ؛وهذا ما تضمَّنه معنى الخبر (أمُّ) التي تعني: أصل الكتاب؛ فقد أخبر عن ضمير الآيات المحكمات أي: الجمع (هنَّ) باسم مفرد ليس دالاً على أجزائه؛ فالمراد أنَّ هذا الصنف من الآيات قد نزل من الكتاب بمنزلة الأمّ أي: أصله ومرجعه ومقاصده كأمِّ الكتاب.

ومثله ما ذهب إليه علماء النحو والتفسير في قوله تعالى: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَولِيَاءَ مِن دُونِي وَهُم لَكُم عَدُوٌّ بِئسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلا﴾ ـــــــــــ [الكهف:٥٠]، يلحظ العدول عن المطابقة العددية بين المبتدأ والخبر في قوله: (وَهُم لَكُم عَدُوٌ)؛ إذ يلحظ أنَّ المبتدأ هو ضمير الجمع (هم)، وخبره لفظ يدل على الإفراد وهو (عدو)، وقد ذهب النحويون والمفسّرون في تخريجهم لهذا العدول إلى إنَّ لفظ (عدو) فيه دلالة الاتحاد والجمع على العداوة، بمعنى: فهم أعداء لكم، وقد تبعهم في هذا التخريج مصنفو كتاب (التفصيل في إعراب آيات التنزيل)(١٤).

إنَّ هذا العدول عن المطابقة في العدد قد حقَّق معنىً بلاغياً أوسعَ وأشملَ ممَّا لو ورد الإخبارُ بصيغة الجمع (أعداء) وهذا ما يفهم إذا ما قورن اللفظ في سياق آخر وذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِن يَثقَفُوكُم يَكُونُواْ لَكُم أَعدَاء﴾ ـــــــــــ [الممتحنة:٢]، فالمراد من لفظة (أعداء) هنا وقد وردت بصيغة الجمع في

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٨ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

هذا النصّ الكريم إنّهم سيكونون أعداء لكم، وهذا في حال لو ظفر بكم أولئك الذين تُسرُّون إليهم بالمودة؛ وثمَّة فرق يُلحظ بينها وبين لفظة (عدو) التي دلَّت على العداوة المطلقة[١٥].

وذهب بعض أصحاب النظر من العلماء إلى أنّ بعض هذه الألفاظ نحو:(الصديق)و(العدو) مصادر والمصدر لا يُثنى ولا يُجمع ولا يُؤنث [١٦].

وقد يعدل عن المطابقة من التثنية إلى الجمع ومنه ما ورد في سياق قوله تعالى: ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى ٱللَّهِ فَقَد صَغَت قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَولَىٰهُ وَجِبرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلمُؤمِنِينَ وَٱلمَلَٰٓئِكَةُ بَعدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ ـــــــ [التحريم:٤]، الملاحظ بحسب ظاهر الآية أنَّ المخاطب مثنى وقد جاء لفظ (القلوب) المصاحب للمخاطبين بصيغة الجمع (قُلُوبُكُمَا)، وهذا الالتفات أبلغ في معاتبتهما[١٧]، وهذا عدول عن المطابقة من حيث التثنية.

و يقتضي الظاهر أنْ يقال في غير القرآن الكريم: (قد صغى قلباكما)، وقد ذهب العلماء في تخريج هذا العدول وتأويله إلى مذاهب، منها: إنَّه أمرٌ عائد إلى سنن العربية في كلامها، ومنهم من ذهب إلى التخفيف من الاستثقال؛ قال السمين الحلبي ((قلوبكما من أفصح الكلام؛ حيث وقع الجمع موقع المثنى استثقالا لمجيء تثنيتين لو قيل: قلباكما))[١٨].

وقد جيء بالجمع وهو أكثر استعمالاً عند إضافته للمثنى، وكان القياس عندهم أنْ يُعبَّر بالمثنى عن المثنى لكنَّهم كرهوا اجتماع تثنيتين، وعندهم التثنية هي جمع في المعنى، والإفراد لا يجوز إلَّا في ضرورات الشعر، ولأبي البقاء العكبري(ت٦١٦هـ) في هذا العدول قولٌ لطيفٌ؛ إذ يقول((قلوبُكما: إنَّما جمعٌ وهما اثنان؛ لأنَّ لكل انسان قلباً، وما ليس في الإنسان منه إلَّا واحد جاز أنْ يجعل الاثنان فيه بلفظ الجمع، وجاز أن يجعل بلفظ التثنية وقيل وجهه أنَّ التثنية جمعٌ))[١٩].

وقد عدَّ أصحاب كتاب (التفصيل في إعراب آيات التنزيل)هذا العدول العددي من التثنية إلى الجمع أسلوباً خاصاً بالقرآن الكريم و بلاغته في التعبير المتفرد؛ وذلك بردِّهم على مَنْ عدَّ ذلك من الغلط[٢٠]: بل عدُّوه وجهاً وجيهاً، وإنَّ للقرآنِ الكريم خُصُوصيَّته[٢١].

وقد يكون في لفظ الجمع إشارة وتحذيرٌ من أنَّ إفشاء أسرار البيت النبوي قد يؤدِّي إلى أنَّ هناك أنفسًا أخرى وقلوباً كثيرة قد تساعد على هذا الإفشاء[٢٢]، فيكون هذا العدول عن المطابقة العددية مؤدّياً معاني أخَر لا تبدو كامنة في النصّ الكريم، فهو يوحي بأبعادٍ أخرى خلف المعنى الظاهر أو الشكل الخارجي لهذا العدول الأسلوبي.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٨ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

يكشف هذا النوع من العدول في المطابقة بين الواحد والاثنين أو بين التثنية والجمع عن المعاني والوقوف على بلاغة العدول والتحول من صيغة عددية إلى أخرى كما إنَّه يكشف عن جوانب الإعجاز اللغوي في نظم القرآن الكريم من دون أنْ يشعر المتلقي باضطراب العدول بين تلك الصيغ، وعلى القاريْ أو النحوي الذي يحاول استكشاف ذلك أنْ يكون ملمّاً بعلوم النحو والبلاغة على حدٍ سواء؛ فالعدول ظاهرة أسلوبية تتحقَّق من معرفة العِلمين والوقوف على تفاصيلهما.

ثانياً: العدول عن المطابقة في التذكير والتأنيث:

الأصل في العربية أنْ يطلق اللفظ أو الضمير المذكر للمذكر والمؤنث مع المؤنث، إلاَّ أنَّ ثمّة شواهد كثيرة قد رُصدَت في الكلام العربي والذكر الحكيم وردت مخالفة لهذا، فحصل عدول عن المطابقة في التذكير والتأنيث وقد يكون سبب هذا العدول عن المطابقة طبيعة نظام اللغة العربية تارة، والعرف الاجتماعي تارة أخرى[٢٣]؛ فالمذكَّر عندهم هو الأصل؛ فقد يميلون إلى تغليبه في كلامهم و يستعملون التذكير في مواضع التأنيث كما وإنَّ بعض القبائل العربية كانت تُطلق اللفظ الواحد على المذكر والمؤنث في الوقت ذاته، وهذا ما يسمَّى عند المحدثين (ثنائية التذكير والتأنيث)، كما إنَّ في العربية صفاتٍ يستوي فيها المذكّر مع المؤنّث كصيغة (فعيل) و (فعول) نحو: (صبور) و (جريح)، إنَّ هذا الخلط والاضطراب في مسألة التأنيث والتذكير جَعل العدول عن المطابقة بينهما أمراً مستساغاً[٢٤].

ويرى الدكتور اسماعيل أحمد عمايرة أنَّ مسألة التأنيث والخلط بينه وبين التذكير تعود إلى مدّة زمنية متقدِّمة من عمر اللغة لم يكن فيها التأنيث متخصّصاً بألفاظٍ أو علاماتٍ تدلُّ عليه وتميزُه عن المذكر[٢٥].

ومن شواهد فوات المطابقة التي عرضها مؤلفو كتاب (التفصيل في إعراب آيات التنزيل) ما ورد في إعراب قوله تعالى:﴿ وَإِذَا لَم تَأتِهِم بِاٰيَة قَالُواْ لَولَا ٱجتَبَيتَهَا قُل إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُم وَهُدى وَرَحمَة لِّقَوم يُؤمِنُونَ﴾ ـــــــ [الأعراف:٢٠٣]، يُلحظ في هذا النص القرآني أنَّ المبتدأ في قوله:(هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُم) هو اسم إشارة للمذكر، والخبر(بَصَائِرُ)، وهذا عدولٌ عن المطابقة بينهما، وقد ذهب المعربون والمفسرون إلى إنَّ المشار اليه بـــ (هذا) هو القرآن الكريم والوعظ؛ ففيه من تعاليم الدين وشعائره ما هو بمنزلة البصائر في القلوب[٢٦].

وهكذا تحصل المطابقة بينهما، وقد ورد الخبر (بصائر) بصيغة الجمع؛ لما في المبتدأ من تعدد، وقد ذهب مؤلفو كتاب (التفصيل في إعراب آيات التنزيل) في تخريج هذا العدول عن المطابقة بين التذكير والتأنيث إلى ثلاثة أقوال، أولها: إنَّه قد أخبِر عن المفرد (هذا) بالجمع (بصائر)؛ لاشتمال القرآن الكريم على سور وآيات، وثانيها: إنَّه على تقدير مضاف محذوف أي ذو بصائر، وثالثها: قد أخبر بالجمع في هذا الموضع للمبالغة[٢٧].

وترجِّح الباحثة المعنى الأول؛ فالقرآن الكريم مشتمل على التعاليم والسور والآيات التي هي بصائر للقلوب، واسم الإشارة عائدٌ على القرآن الكريم؛ وهذا المعنى عند أغلب النحاة و المفسرين[٢٨].

وكثر الجدل بين العلماء في تأويل العدول عن المطابقة بين التأنيث والتذكير في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَينِكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلمَوتُ حِينَ ٱلوَصِيَّةِ ٱثنَانِ ذَوَا عَدل مِّنكُم﴾ ـــــــــــ [المائدة:١٠٦]، ذكر بعضُهم أنَّ هذه من أصعبِ المسائل التي أشكلت على العلماء في العدول عن المطابقة؛ فـ (شَهَٰدَةُ) مبتدأ مرفوع، وهي لفظ مؤنث و(ٱثنَانِ) خبرها، وهو دالٌّ على التثنية والتذكير، ولأجل المطابقة بينها ذهب النحاة إلى القول بأنَّ ثمَّة مضاف محذوف إمَّا من المبتدأ والتقدير: ذو شهادة بينكم، أو من الخبر والتقدير: شهادة بينكم شهادة اثنين[٢٩].وتبعهم مؤلفو كتاب (التفصيل في إعراب آيات التنزيل) على هذا التقدير[٣٠].

ومن المعربين مَن يرى أنَّ (شَهَٰدَةُ) بمعنى (الشهود) وهي (مصدر) قد وُضِع موضِع الاسم، مثلما يقال: رجلٌ عدلٌ ورجال عدلٌ، وبتقدير محذوف أيضاً والتقدير: عدَّة الشهود بينكم اثنان، وقد جُعل المصدر(شهادة) بمعنى الشهود مبالغةً، وقد ردَّ مؤلفو كتاب (التفصيل في إعراب آيات التنزيل) هذا التخريج؛ إذ ذكروا أنَّ فيه نظر[٣١].

ومن معالجات هذا العدول في كتاب (التفصيل في إعراب آيات التنزيل) ما جاء في قوله تعالى:﴿ ٱلسَّمَاءُ مُنفَطِرُ بِهِۦ كَانَ وَعدُهُ مَفعُولًا﴾ ـــــــــــ [المزمل:١٨]، فقد ورد التعبير القرآني بالإخبار عن المبتدأ (السماء) المؤنثة بالخبر(منفطر)))[٣٢]،وقد دلَّ على المذكر وهذا عدول عن المطابقة بينهما، وقد ذكر أصحاب الكتاب في تخريج هذا النص القرآني أربعة أقوال هي: إنَّ السماء تؤوّل بمعنى (السقف)، أو على النسبة بمعنى: ذات انفطار، أو إنَّ (السماء) اسم الجنس يفرق بينه وبين المفرد بالتاء فيقال: سماءة وغير ذلك، أو: إنَّ السماء يصحُّ فيها التذكير والتأنيث[٣٣].

يقول الفراء:((وقوله عز وجل (السَّماءُ مُنفَطرٌ بِهِ) بذلك اليوم، والسماء تذكَّر وتؤنَّث، فهي هاهنا في وجه التذكير، قال الشاعر:

فَلو رَفعَ السَماءَ إليهِ قَوماً لَحِقنا بالنُجُومِ مَعَ السَّحَابِ[٣٤]))[٣٥].

وذهب بعض أهل النظر من المفسّرين إلى أنَّ (منفطرة) بمعنى (متشقِّقة)؛ أي إنَّه محمولٌ على المعنى[٣٦]، ومن الدارسين المحدثين من يؤيد هذا القول؛ إذ أشار الباحث فراس عصام السامرائي إلى إنَّ استعمالَ (منفطر) بدلاً من (متشققة) أدلُّ على شدَّة ذلك اليوم الذي يجعل الولدان شيباً؛ فهو يومٌ عصيبٌ يحتاجُ إلى لفظ يدلُّ على الشدَّة والهول والعَظمة؛ وإنَّ استعمال اللفظ بصيغة التذكير يجعل دلالة المعنى أقوى وأشدَّ رهبةً في نفسِ السامعِ ممَّا لو استخدم لفظاً مؤنثاً[٣٧].

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٨ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

وممَّا يدور في فُلك هذه الشواهد في مسألة العدول عن المطابقة ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمسُ وَٱلقَمَر﴾ـــــــــــــ [القيامة:٩]، و يلحظ العدول عن المطابقة في هذا المثال من خلال مجيء الفعل (جُمِع) دالٌ على الإفراد والتذكير، وهو مبني للمجهول، في حين ورد نائب الفاعل (الشمس) مؤنثاً وقد عُطفت على (القمر)، وقد كانت المطابقة بينهما تتطلب تأنيث الفعل فيقال: (جُمِعا) أو: يقال في غير القرآن الكريم: (جُمِعت الشمسُ والقمر)، وقد ذكر أصحاب كتاب (التفصيل في إعراب آيات التنزيل) أنَّ (الشمس) مؤنث غير حقيقي؛ لذا جاز تأنيثه وتذكيره وهذا ما ذهب إليه المبرد[٣٨].

أو إنَّ (الشمس) وهي مؤنث حين جُمعتْ مع (القمر) وهو مذكر غلب المذكر، فذكر الفعل وهذا مثل قولهم: قام أخواك هند وزيد، ويرى السمين الحلبي أنَّ هذا القول فيه نظر فلم يرتضيه[٣٩]، ومن النحاة والمفسِّرين من يرى أنَّ ذلك محمول على المعنى : كأن القول هو: جمع النوران أو الضياءان، ووجَّه بعضهم هذا العدول بأنَّه: لما جُمع بين الشمس والقمر، فإنَّ الفعل ذكَّر؛ لأنَّ (بين) مذكر، ويشهد لهذا قراءة من قرأ: (وجُمِعَ بين الشمس والقمر)[٤٠].

وقال الفرَّاء في تفسيره لهذا العدول:((وقد كان قوم يقولون إنَّما ذكَّرنا فعل الشمس؛ لأنَّها لا تنفرد بجمع حتى يشركُها غيرها، فلمَّا يشاركها مذكَّر كان القول فيهما جُمِعا ورجعوا عن ذلك القول))[٤١].

ويبدو للباحثة أنَّ استعمال القرآن الكريم للفعل بصيغة المذكر والعدول عن المطابقة مع المؤنث فيه لمحةٌ بلاغية لطيفة؛ هي أنْ يكون الشمس والقمر مجموعان كالجزء الواحد الذي لا ينفصل والفعل (جُمِع) يدلُّ على التحام الجَرمين الكونيين تحت قُدرة العزيز الجبار وفي قبضة قوَّته سبحانه وتعالى، وهذا المعنى ما كان ليَّتضح هكذا لولا استعمال الفعل مذكّراً ومفرداً فلو قيل: (جُمِعا) لدلَّ على جمع شيئين متفرقين؛ فالتعبير بإفراد الفعل وتذكيره يكون أبلغ وأدلُّ على إنَّهما كالشيء الواحد.

ومن شواهد فوات المطابقة بين المؤنث والمذكر ما جاء في إعراب قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفسِدُواْ فِي ٱلأَرضِ بَعدَ إِصلَٰحِهَا وَٱدعُوهُ خَوفا وَطَمَعًا إِنَّ رَحمَتَ ٱللَّهِ قَرِيب مِّنَ ٱلمُحسِنِ﴾ ـــــ [الأعراف:٥٦]، إنَّ العدول عن المطابقة ظاهرٌ في هذا النص القرآني بين اللفظ المؤنث (رَحمَتَ) وصفة التذكير التي صاحَبَته (قريبٌ) وقد ذكر أصحاب كتاب (التفصيل في إعراب آيات التنزيل) في فوات هذا المطابقة عدَّة أقوال منها: إنَّ (رَحمَتَ) حُمِلتْ على معنى: الثواب أو العفو والغفران أو والترحُّم، فهذه المعاني كلها مذكّر، أو إنَّ (رَحمَتَ) صفة لمذكّر محذوف والتقدير: أمرٌ قريبٌ أو شيءٌ قريب، أو إنَّها على معنى النسب أي: قريب بمعنى: ذات قرب أو إنَّ (قريبٌ) على وزن (فعيل) يلازم التذكير والإفراد، أو إنَّ صيغة (فعيل) بمعنى (فاعل) قد أشبهت صيغة (فعيل) بمعنى (مفعول)، يستوي فيه التأنيث والتذكير، أو إنَّ تكون (رَحمَتَ) مؤنثاً مجازياً، وقد رُدَّ هذا الوجه بأنَّ المؤنث المجازي إذا كانَ متقدِّماً على فعله وجَبَ تأنيثه، وهذا ليسَ مطَّرداً[٤٢].

ويرى بعض المعربين أنَّ(قريبٌ) إنْ دلَّ على قرب المسافة والزمان عندئذٍ يستوي فيها التذكير والتأنيث وهذا خلاف إنْ كانت دالَّة على النسب، فلابدَّ من (التاء)[٤٣]، وهذا قول مردود عند الزجاج[٤٤].

وذكر بعضهم أنَّ تخريجات النحاة والمفسرين للعدول عن المطابقة بين تأنيث (رحمت) و تذكير (قريب) قد بلغت (خمسة عشر) وجهاً وقد ذكر مؤلفو كتاب (التفصيل في إعراب آيات التنزيل) سبعة منها، وقد رجَّح مؤلفو كتاب (التفصيل في إعراب آيات التنزيل) الوجه القائل: إنَّ (رحمت) قد حملت على معنى الثواب أو العفو أو الترحُّم[٤٥].

ومن المحدثين مَن له رؤية تخالف رؤى النحاة والمفسّرين في هذا العدول؛ إذ يرى الدكتور عباس محمد إسماعيل إنَّ كلمة (رحمت) مُسندة إلى لفظ الجلالة (الله) المجاور له لا إلى (قريب) و يعود السبب في ذلك إلى أمرين ألأول: لو حذفت(رحمت) لا ستقام معنى التركيب نحوياً ومعنوياً أي: إنَّ الله قريبٌ من المحسنين، الأمر الثاني: إنَّ الله جلَّ وعلا أقرب إلى عباده المؤمنين من رحمته؛ فمجيء الرحمة بعد مجيء الاحسان، وتأكيد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ ـــــــــــ[البقرة: ١٨٦] وقوله تعالى:﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسمَعُ وَأَرَىٰ﴾ ـــــــــــ [طه: ٤٦] لهذا يكون اسناد (قريب) إلى (الله) في نظر الدكتور عباس أقربُ وأصحُّ من إسنادِه إلى الرحمة [٤٦].

ويبدو أنَّ رؤيته قد ارتبطت بالمعنى السياقي النصّي للآية، والمغزى المراد منها في هذا العدول الأسلوبي ولم يلتجيء في تخريجه إلى الحمل على المعنى كما فعل المعربون ومفسّرو القرآن الكريم، ومَن يمعن النظر في حُجَج النحاة والمفسرين وتأويلاتهم في ترك تأنيث الفعل والعدول عن المطابقة بين المؤنث والمذكر يجد أنَّ أكثرها واهية ولا تمتّ لأسلوب القرآن وبلاغته بصلة؛ فالتعبير القرآني لا يمكن أنْ يستعمل لفظاً من دون آخر إلَّا إذا كان من ورائه مقصدٌ بيانيّ أو غرضٌ بلاغي وأسلوبي يظهره ذلك اللفظ في سياقٍ نصّي معين، وما كان القرآن الكريم متفرداً في بيانه وأسلوبه وبلاغته عن سواه من أنماط الكلام العربي المعتاد لولا تمكُّنه من انتقاء الألفاظ المناسبة والمعبرة عن معناها بدقةٍ لا نظيرَ لها وذلك حين تتواجد تلك الألفاظ في نسقِها السياقي القرآني الخاصّ و المتفرّد.

ثالثاً: العدول عن المطابقة في التعريف والتنكير:

إنَّ النمط الكلامي المتعارَف عليه يقتضي المطابقة بين المعرفة والنكرة، ولكنْ ثمّة شواهد كثيرة في القرآن الكريم والكلام العربي تؤكّد خلاف ذلك وإنَّه يمكن أنْ يحصل عدول عن مطابقة التعريف والتنكير مع بعضها، ويرى بعض العلماء أنَّ هذا النوع من العدول يبدو محدَّداً في أبواب نحوية خاصة؛ هي أبواب التوابع كالعطف والبدل والنعت والتوكيد، ويدخل من ضمنها بعض مسائل الحال[٤٧]، فشرط التنكير والتعريف في هذه الأبواب واضحٌ وبيّن، إلَّا في البدل فيمكن إبدال النكرة بالمعرفة والمعرفة بالنكرة[٤٨].

و يدخل في هذا النوع من العدول ما كان في باب الإضافة غير المحضة أي الإضافة التي لم تكتسب تعريفاً؛ لأنهَّا على نيَّة الانفصال بالتنوين ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَحكُمُ بِهِ ذَوَا عَدل مِّنكُم هَديَا بَٰلِغَ ٱلكَعبَةِ أَو كَفَّرَة طَعَامُ مَسٰكِينَ أَو عَدلُ ذَٰلِكَ صِيَاما﴾ ـــــــــ [المائدة: ٩٥]، والملاحظ في قوله تعالى:(هَديَا بَٰلِغَ ٱلكَعبَةِ) عدم المطابقة في ظاهره بين النكرة (هدياً) وبين وصفها (بَٰلِغَ ٱلكَعبَةِ) وقد أضيف اسم الفاعل (بالغ) إلى (الكعبة) فهذا الشكل التركيبي يبدو في ظاهره معرفاً بالإضافة، إلاَّ أنَّها إضافة غير محضة، فالمضاف على نية الانفصال والتنوين أي: (بالغاً الكعبة)، قال الأخفش:((وليس قولك (بَٰلِغَ ٱلكَعبَةِ) بمعرفة ؛لأنَّ فيه معنى التنوين لأنَّه إذا قال: هذا ضاربُ زيد في لغة من حذف النون، ولم يفعل بعد فهو نكرة))[٤٩].

وتابع أصحاب كتاب (التفصيل في إعراب آيات التنزيل) النحاة على هذه التأويلات؛ فقد أعربوا (بالغاً): ((صفة نكرة لـــ (هدياً)؛ لأنَّ الإضافة في نيّة الانفصال، والتنوين مقدَّر وتقديره: بالغاً الكعبة))[٥٠] .

ومن شواهد العدول عن المطابقة في التنكير والتعريف ما جاء في قوله تعالى: ﴿ حم تَنزِيلُ ٱلكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلعَزِيزِ ٱلعَلِيمِ غَافِرِ ٱلذَّنبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوبِ شَدِيدِ ٱلعِقَابِ ذِي ٱلطَّولِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيهِ ٱلمَصِير﴾ ـــــــــــ [غافر: ١ـــــــــــ٣].

في النص الكريم وصفت المعرفة لفظ الجلالة (الله) بالنكرة (شديد العقاب) وهي صفة مشبهة وإضافتها غير محضة على نية الانفصال أي: شديدٌ عقابُه، وهذا عدول عن المطابقة بينهما، ونص الزمخشري في هذا العدول على ثلاثة أقوال: أولها: أنْ يكون بدلاً ، وهذا قول الزجَّاج، وردَّه الزمخشري بأنَّ لا يصحُّ أنْ تكون (شديد العقاب) وحدها بدلاً، ورأى أنَّ فيه نبُوَّاً ظاهراً في كونه بدلاً وحده من دون باقي الصفات في النص الكريم، والصواب عنده أنْ يجعلها جميعاً أبدالاً[٥١].

ثانيها: أنْ تكون جميعها صفات، وألف واللام في (شديد العقاب) لمزاوجة ما قبله مع ما بعده لفظاً، وثالثها إنَّ اختيار البدل على الصفة، وقد تعمَّد تنكيره وابهامه، لأنَّه يدلُّ على غاية الشدة، وإنَّ لا شيء أدهى منه وأمر زيادة في الإنذار، ولهذا اختير البدل على الوصف [٥٢]، وقد رجَّح الزمخشري أنْ تكون(غافر الذنب)، و(قابل التوب)، و(شديد العقاب) جميعها أبدال؛ لأنَّ اضافتها غير محضة[٥٣] .

وقد ردَّ عليه أبو حيان بأنَّ البدل لا يتكرر إلَّا إنَّه أجاز البدل من البدل، وقد نسب قولاً لسيبويه: جاء فيه:((وقال سيبويه أيضاً، ولقائل أنْ يقول هي صفات، وإنَّما حُذفت الألف واللام من (شديد العقاب) ليزاوج ما قبله وما بعده لفظاً، فقد غيَّروا كثيراً من كلامهم عن قوانينه لأجل الازدواج...))[٥٤].

وذكر أصحاب كتاب(التفصيل في إعراب آيات التنزيل) أنَّ هذا القول قد أثبته الزمخشري، ولم ينسبه إلى سيبويه، وهو غير موجود في (الكتاب)، ويبدو أنَّه سبقُ قلمٍ من أبي حيّان، وقد تابع مصنفو كتاب (التفصيل في إعراب آيات التنزيل) الزمخشري على ما ذكره من أقوال مرجحّين وجه الوصف في (شديد العقاب) على البدلية(٥٥).

ومن الواضح أنَّ (غافر الذنب)، و(قابل التوب) قد طابقتا الموصوف لفظ الجلالة كونهما معرفتين؛ ولم يرد بهما الدلالة على الحدوث؛ فإضافتهما حقيقية ومحضة وهما غير قابلين للانفصال؛ لأنَّ المراد بهما هو دوام مغفرة الله وثباتها وقبوله للتوبة؛ أي إنَّ الله يغفر الذنب ويقبل التوب (الآن) و (غداً)، فهذا الثبات و الدوام الذي تتضمَّنه صيغتا اسم الفاعل (غافر)، و(قابل) جعّل حكمهما حكم (الله) ربّ الخلق سبحانه و تعالى في المطابقة، وهذا بخلاف قوله:(شديد العقاب)؛ فهي إضافة غير محضة قابلة للانفصال فيقال: (شديدٌ عقابُه)، و تركيب العبارة بهذا الشكل أي بالصفة المشبَّهة، لا يتضمن ثباتاً أو دواماً لهذا الوصف، و المعنى إنَّ عذابه سبحانه لا يدوم مع مَن تابَ ورجعَ عن الذنب والمعصية،

رابعاً: العدول عن المطابقة في الحركة الإعرابية:

تكشف الحركات الإعرابية عن الوظائف النحوية في مفردات الجملة العربية، ولها أثرٌ كبير في التقديم والتأخير بين أجزاء التركيب النحوي، و قد يحدث أنْ تتخلى بعض الكلمات عن حركتها الإعرابية لعلَّة صوتية كمناسبة الحركة التي قبلها، أو التخلص من التقاء الساكنين، أو علَّة متعلّقة بالمعنى؛ كأمن اللبس في الكلام وغير ذلك، وقد تكون العلَّة في ذلك العدول علَّة نحوية؛ وهو ما يسمِّيه النحاة المخالفة الإعرابية، أو مخالفة الأصل الإعرابي، وكثيراً ما يحصل العدول عن المطابقة في الحركة الإعرابية في باب التوابع، فيخالف التابع متبوعَه في الحركة الإعرابية ويغايره إعراباً؛ وهذا ما يسمى في العربية (بظاهرة القطع)، وقد عرَّف علماء النحو التابع بأنَّه: اسمٌ يشاركُ ما قبله في الإعراب وهو خمسة أصناف: العطف والتوكيد والنعت وعطف البيان والبدل(٥٦).

وفي قطع التابع عن متبوعِه دواعٍ بلاغيةٍ محضة، منها توجيه الأنظار، ولفت الانتباه إلى النعت المقطوع، والتشويق؛ وذلك لأهميَّته في لفتِ النظر، ويبدو ذلك واضحاً في إنشاء جملٍ جديدة للمدح أو الذم والترحُّم(٥٧).

وقد نبَّه عبدُ القاهر الجرجاني (ت٤٧١ه) في كتابه (دلائل الإعجاز) على هذا المدَار البلاغيّ للنعتِ المقطوعِ عن الجملة وأهميَّته في المعنى(٥٨).

ومن الشواهد القرآنية على هذا العدول المسمَّى (بالقطع) ما جاء في قوله تعالى:﴿ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ ـــــــــــــ [المؤمنون:٩٢]؛ فقد قرآ الجمهور على اتباع (عالم الغيب) لمنعوته المجرور(الله)، وقرآ آخرون بالقطع على الرفع (عالمُ)[٥٩]،على أنَّه خبر لمبتدأ محذوفٍ أي: هو عالمُ الغيبِ، وقال صاحب كتاب الوجيز ((و الرفع عندي أبرع))[٦٠]، والعدول بالرفع عن الجر هو الراجح عند أكثر البصريين والكوفيين، وقد تابعهم مصنفو الكتاب، إلَّا إنَّهم أعربوا (عالم) على وجهين: إمَّا نعتٌ مجرورٌ للاسم الجليل أو بدلٌ عنه[٦١]، في حين يرى الأخفش (ت٢١٥ه) أنَّ وجه الجرّ أجود؛ ليكون الكلام من وجهٍ واحد[٦٢].

ومثل هذا في تخريجهم للعدول عن المطابقة الإعرابية في قوله تعالى: ﴿ لَّيسَ ٱلبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُم قِبَلَ ٱلمَشرِقِ وَٱلمَغرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلبِرَّ مَن ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱليَومِ ٱلأخِرِ وَٱلمَلَٰئِكَةِ وَٱلكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّنَ وَءَاتَى ٱلمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلقُربَىٰ وَٱليَتَٰمَىٰ وَٱلمَسَٰكِينَ وَٱبنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّائِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلمُوفُونَ بِعَهدِهِم إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلبَأسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ وَحِينَ ٱلبَأسِ أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلمُتَّقُونَ﴾ ـــــــــــــ [البقرة:١٧٧]، يُلحَظ في النصّ الكريم عدولان عن المطابقة في الإعراب وذلك في(ٱلمُوفُونَ) المرفوعة، التي خالفت النسق المجرور قبلها، والتقدير: هم الموفون، وقد أوضح الزجَّاج سبب رفع(الموفون)حين قال:((الأجود أنْ يكون مرفوعاً على المدح، لأنَّ النعت إذا طال وكثر بعضه، ونصب على المدح والمعنى: هم الموفون))[٦٣].

وأمَّا العدول الثاني في السياق نفسه من الآية الكريمة فهو نصب (الصابرين) وقد ذكر أصحاب كتاب (التفصيل في إعراب آيات التنزيل) أنَّ في نصبه أربعة أقوال: أولها أنْ يكون منصوباً على المدح بتقدير: (أمدح الصابرين) وهو الأجود عند الزجَّاج، وأصحُّ ما قيل عند الشهاب الخفاجي(ت١٠٦٩هـ)[٦٤]، وهو الأرجح عند مؤلفي كتاب (التفصيل في إعراب آيات التنزيل)؛ لما يحقّقه هذا العدول من غرض بلاغي هو (المدح)، وثانيها: أنْ يكون منصوباً بالعطف على (ذوي القربى)، ثالثها: إنَّ(الصابرين) منصوبٌ على الاختصاص؛ وقد ذكر المنتجب الهمذاني(ت٦٤٣هـ) أنَّه منصوب على المدح والاختصاص[٦٥]، ورابعها أنَّه منصوب بفعل مقدَّر بـــ(أعني)[٦٦].

ومن تخريجات النحاة لهذا العدول الإعرابي يتَّضح أنَّ هذا الأسلوب قد خَرجَ عن الشكل الخبري العادي إلى أسلوب عاطفي هو أسلوب (المدح)، وفي هذا العدول عن الرفع بالعطف، وعن التشريك في الحكم والمساواة في الجزاء، إظهار المزيد من الحثّ على الصبر على البلاء[٦٧].

وتذهب الباحثة في هذه المعالجات مع رأي الهمذاني؛ فالعدول الإعرابي في هذا الموضع جاء لمعنى المدح والاختصاص معاً؛ فمن يتأمَّل سياق النص الكريم وإيراد (الصابرين) بعد عدد من النعوت المغايرة له إعرابيا يتلمس مدحاً و تخصيصاً للصابرين في مواطن البأساء والضراء ووقت الحرب والشدة تتطلب صبراً عظيماً وهذا ما يميز فئة الصابرين بالأجر والثواب العظيم عن غيرهم، ويشهد لذلك قوله تعالى:﴿ إنَّما يُوفَّى الصَّابرون أجرَهم بغير حِسابٍ﴾ ـــــــــ [الزمر: ١٠].

خاتمة البحث:

ويستَخلِصُ البحثُ من كل ما تمَّ عرضُه في هذا المبحث، إنَّ ظاهرة العدول عن المطابقة بتصنيفاتها المتعددة تعدُّ سمات أسلوبية تصنع التأثير النفسي وتدلُّ على التنبُّه والانفعال نحو شيء مغاير للمألوف، وهذا ما تؤكّده الدراسات الأسلوبية الحديثة، فمظاهر العدول تلفت الأنظار إلى مكامنِ الجمال الفني الإبداعي اللافت والمنفلِت عن النمط التقليدي السائد والمعروف، فلولا ذلك العدول وتلك المغايرة الأسلوبية لما اختلف نصٌ عن أخر، وما تميَّز أسلوبٌ عن غيره في كلام العرب، وهذا التميّز والتفرّد في الانتقاء والاختيار الأسلوبي المميّز للفظ والعدول به عن المسلك المعتاد هو ما يميّز التعبير القرآني ويَسمُو به على ما سواه من أساليب الاستعمال الدارج والمألوف؛ وهو الأمر الذي لم يلتفت إليه بعض النحاة ومفسّري القرآن الكريم؛ إذ حَصَروا تأويلهم وتخريجهم لكثيرٍ من مواضع العدول عن المطابقة بالحمل على المعنى أو الحمل على اللفظ، وهي تفسيراتٌ سطحية للنصّ الكريم لم تتعمَّق في مضمونِه السياقي والبلاغي.

وهم بهذا قد ضيَّقوا واسعاً وقد غابت عن أنظارهم مواطن الإبداع الأسلوبي ومكامن الأسرار المعنوية الفاتِنة المتفرّدة في النصَ القرآني، ولم يغفل مؤلفو كتاب(التفصيل في إعراب آيات التنزيل) عن ذلك كله؛ كونهم حَريصينَ على إظهار المعنى الأسلوبي والبلاغي في سياقات التعبير القرآني المعجِز.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٤ – المجلد ٤٨ – كانون الأول لسنة ٢٠٢٣

هوامش البحث:

(١) ينظر: من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس: ١١.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل العقيلي: ١/ ٢٠٠، و اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان: ٩٧.

(٣) ينظر: العدول عن المطابقة في القرآن الكريم، د. محمد عبد الشافي القوصي: ٧.

(٤) ينظر: ظاهرة العدول عن المطابقة في العربية، د. حسين عباس الرفايعة: ١٣، و الظواهر النحوية القرآنية في دراسات المحدثين دراسة وتقويم (أطروحة دكتوراه)، ،: ٣٦

(٥) العلاقات السياقية لظاهرة العدول في العربية، د. عمر خليل: ٩٧٥.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٩٧٥-٩٧٦.

(٧) ينظر: النص وآليات الفهم في علوم القرآن، د. محمد الحبرش: ٢٦٣.

(٨) ينظر: المغايرة في الدرس اللغوي في العربية، سلامة عايش السراحين: ٨٧.

(٩) ينظر: من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس: ١٦.

(١٠) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٢/ ٣٨٣،والدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، السمين الحلبي: ١٦/٢، وروح المعاني، الآلوسي:٨٣/٣.

(١١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٣/ ١٦٣.

(١٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش: ١/ ٤٥٦.

(١٣) ينظر: التفصيل في إعراب آيات التنزيل: ٣/ ١٤٨.

(١٤) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري: ٥/ ٢٩١، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود: ٣/ ٣٨٦، وحاشية الجمل على تفسير الجلالين، سليمان الجمل: ٣٠/٣، والتفصيل في إعراب آيات التنزيل: ١٥ / ٣٥٠.

(١٥) ينظر: روح المعاني، الآلوسي: ١٥ / ٢٩٢، والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري: ٢/ ٢٦٢.

(١٦) ينظر: الأشباه والنظائر،السيوطي: ٣/ ٢٣٦، و البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٢/ ٢٣٣.

(١٧) ينظر: المقتضب، المبرد: ٢/ ٣٣٧.

(١٨) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: ٦/ ٣٣٥، وينظر: مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب:٢/ ٣٨٧ ، و التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري: ١٢٢٩و كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، الباقولي:١٣، والفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني:٤٨٨/٤.

(١٩) التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري: ١٢٢٩.

(٢٠) ينظر: حاشية الجمل على تفسير الجلالين، سليمان الجمل: ٤/ ٣٦٦.

(٢١) ينظر: التفصيل في إعراب آيات التنزيل: ٢٨/ ٢٩٢.

(٢٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب: ٢١٢، ٣٢١.

(٢٣) ينظر: المغني الجديد، محمد خير حلواني:٤٣٠، والبحث النحوي في كتاب (إعراب القرآن الكريم وبيانه)، (رسالة ماجستير)، لؤي واهم شهيد :٢٥

([٢٤]) ينظر: ظاهرة العدول عن المطابقة في العربية، حسين عباس الرفايعة: ٤٥.

([٢٥]) ينظر: ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية دراسة لغوية تأصيلية: ٣٣د. إسماعيل عمايرة

([٢٦]) ينظر: إعراب القرآن للفراء:٢/ ٣١٧، وروح المعاني، الآلوسي: ٢٥ / ٢٢٨.

([٢٧]) ينظر: التفصيل في إعراب آيات التنزيل: ٩/ ٢٩٦.

([٢٨]) ينظر:إعراب القرآن للفراء: ٣١٧/٢، وإعراب القرآن للنحّاس:٨٧/٢، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ٢/ ٤٩٣،وحاشية الجمل على تفسير الجلالين ، سليمان الجمل: ٢٢٢/٢، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود: ٢/ ٣٣٨.

([٢٩]) ينظر: إعراب القرآن للنحّاس: ٢٩٩، وروح المعاني، الآلوسي: ٧/ ٦٧.

([٣٠]) ينظر: التفصيل في إعراب آيات التنزيل: ٧/ ٥٩.

([٣١]) ينظر: المصدر نفسه: ٧/ ٥٩.

([٣٢]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري: ٤/ ٣٦٧.

([٣٣]) ينظر: كتاب المذكر والمؤنث، ابن التستري:٥، والتفصيل في إعراب آيات التنزيل: ٢٩/ ٢٩٨-٢٩٩.

([٣٤]) شرح ديوان الفرزدق:١/ ١٦٥، وفي ديوانه: ولو رفعَ الإلهُ إليه قوماً لحقِنا بالسماءِ مَعَ السَّحابِ.

([٣٥]) معاني القرآن للفراء: ٣/ ١٩٩.

([٣٦]) ينظر: تفسير القرطبي: ١٩ / ٥٠.

([٣٧]) ينظر: المطابقة في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم (رسالة ماجستير)، فراس عصام شهاب السامرائي: ٤٦.

([٣٨]) ينظر: المقتضب، المبرد: ٢/ ١٤٦، والتفصيل في إعراب آيات التنزيل:٢٩ / ٣٦٣ -٣٦٤

([٣٩]) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: ٦/ ٤٢٨.

([٤٠]) ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها، ابن خالويه: ٤١٥/٢، ومعجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب:١٠ / ١٨٧.

([٤١]) معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢٠٩ -٢١٠

([٤٢]) ينظر: معاني القرآن للأخفش: ٢/ ٣٠، والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٤/ ٣١٤، و زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي: ١٣٠/٢، والتفصيل في إعراب آيات التنزيل: ٨/ ٢٢٣.

([٤٣]) ينظر: معاني القرآن للنحَّاس: ٢/ ٥٧، و التفصيل في أعراب آيات التنزيل: ٨/ ٣٢٣.

([٤٤]) ينظر: تهذيب معاني القرآن وإعرابه، الزجّاج:٢ / ٣٤٤-٣٤٥

([٤٥]) ينظر: معاني القرآن للأخفش:٣٠/٢، ومعاني القرآن للزجاج : ٢/ ٣٤٤ـــــــ٣٤٥، و البيان في إعراب غريب القرآن، أبو البركات بن الأنباري: ٣٦٥/٢،، وتفسير القرطبي:١٤٥/٧، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٤/ ١٧٥، والتفصيل في إعراب آيات التنزيل: ٨/ ٣٢٣.

([٤٦]) ينظر: دلالة النص العدولي في بعض آي الذكر الحكيم، د. عباس محمد إسماعيل موسى: ١٩٢.

([٤٧]) ينظر: الكواكب الدرّيّة على متمّمة الآجرومية، محمد بن عبد الباري الأهدل: ٢ / ١٢٦.

([٤٨]) ينظر: شرح الأنموذج في النحو، الأردبيلي: ٧٥.

([٤٩]) معاني القرآن للأخفش: ١/ ٢٦٤.

(٥٠) ينظر: لتبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري:٤٦١، والفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني: ٨١/٢، وفتح القدير ، الشوكاني:٩٠/٢، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود:٩٠/٢،، و التفصيل في إعراب آيات التنزيل: ٧/ ٣٩.

(٥١) ينظر: تهذيب معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٤/ ٤٦٦، و الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري: ٣/ ٤٣.

(٥٢) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ٣/ ٥، وحاشية الجمل على تفسير الجلالين، سليمان الجمل: ٤/ ٣، والتفصيل في إعراب آيات التنزيل: ٢٤/ ٩١.

(٥٣) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري: ٣/ ٤٣.

(٥٤) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٧/ ٤٤٨-٤٤٩، وينظر: الكتاب، سيبويه: ١/ ٢٢٥.

(٥٥) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري: ٣/ ٤٣، و التفصيل في إعراب آيات التنزيل: ٢٤ / ٩٢.

(٥٦) ينظر: معاني القرآن للفرّاء:٢٨/١، و الأصول في النحو، ابن السرّاج :٢/ ١٧، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ١٩١/٢، والنحو الوافي، عباس حسن: ٤٣٤/٣.

(٥٧) ينظر: النحو الوافي، عباس حسن: ٣/ ٤٩٢.

(٥٨) ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٠٥.

(٥٩) ينظر: الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه: ١٥.

(٦٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ٤/ ١٥٤.

(٦١) ينظر: التفصيل في إعراب آيات التنزيل: ١٨ / ١١٦.

(٦٢) ينظر: معاني القرآن للأخفش: ٢/ ٢١٤.

(٦٣) تهذيب معاني القرآن وإعرابه، الزجاج : ١/ ٢٤٧.

(٦٤) ينظر: تهذيب معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ١/ ٢٤٧، و حاشية الشهاب على حاشية البيضاوي: ٢/ ٢٧٠.

(٦٥) ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني: ٤١٠-٤١١، والتفصيل في إعراب آيات التنزيل: ٢/ ١٠٣.

(٦٦) ينظر: التفصيل في إعراب آيات التنزيل:٢/ ١٠٢- ١٠٣.

(٦٧) ينظر: العدول النحوي في ضوء القراءات القرآنية، د. مثنى يوسف حمادة: ١٨٩.

مصادر البحث:

- القرآن الكريم
- الأصول في النحو، السيوطي / عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت ٩١١هـ) تحقيق: د. محمود فجال، دار القلم، دمشق،ط، ١٣٠٩هـ ـــــــ ١٩٨٩م.
- الأشباه والنظائر، السيوطي ،وضع حواشيه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ ـــــــ١٩٨٣م.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، محمد بن محمد بن مصفى العمادي، دار المصحف، القاهرة، (دـــ تح) (د ـــ ط)، ٢٠٠٩م.
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش (ت١٤٠٣هـ)،تحقيق: يوسف علي بدوي، دار ابن كثير، اليمامة،١٤٢٠هـ ـــــ ١٩٩٩م.
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي / محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (ت٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠ه.
- **البحث النحوي في كتاب (إعراب القرآن الكريم وبيانه)**، (رسالة ماجستير)، لؤي واهم شهيد ،إشراف: أ. م. د. بشير سعيد سهر المنصوري، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة ٢٠٢٠م.
- البرهان في علوم القرآن/ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط١، ١٣٧٦هـ ـــــــ١٩٥٧م.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري/ أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٢، ١٩٧٦م.
- تفسير القرطبي / شمس الدين محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٣٨٤هـ ـــ ١٩٦٤م.
- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد ابن عاشور (ت١٣٩٣مـ)، الدار التونسية للنشر،١٩٨٣م.
- التفصيل في إعراب آيات التنزيل، د. عبد اللطيف الخطيب، ود. سعد مصلوح، و الأستاذ، رجب حسن العلوش، مكتبة الخطيب للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٥م.
- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، الزجاج / إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨ه ـــــــ ١٩٨٨م.
- حاشية الجمل على تفسير الجلالين، سليمان بن عمر الجمل، مطبعة التقدم العلمية، مصر، ١٩٢٩م.
- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت١٠٦٩هـ) –الخفاجي، دار صادر للنشر، بيروت، ٢٠٠٨م.
- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد ابن خالويه (ت٣٧٠مـ) تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط٤، ١٤٠١ه.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بـ(السمين الحلبي) (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق،(دـ ـط) (دـــــ ت).

- دلالة النص العدولي في بعض آي الذكر الحكيم، عباس محمد إسماعيل موسى، (بحث)، كلية التربية، جامعة الجزيرة، مجلة العلوم الطبيعية والإنسانية، العدد(٥) المجلد(٣)، ٢٠٢٢م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني/ أبو بكر عيد القاهر بن عبد الرحمن (ت٤٧١هـ) تحقيق: محمود شاكر أبو فهر، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط٣، ١٤١٣هـ ـــــــــ ١٩٩٢م.
- روح المعاني، شهاب الدين الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي / جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢م.
- شرح ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي (ت٧٦٩هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، لقاهرة، ط٢٠، ١٤٠٠هـ ـــــ١٩٨٠م.
- شرح الأنموذج في النحو، جمال الدين الأردبيلي، تحقيق :أنور الشيخي الداغستاني، دار الضياء، الكويت، ط١، ١٤٤١ه ـــــــــ٢٠٢٠م.
- شرح ديوان الفرزدق، إيليا الحاوي، دار الكتاب المصري، ٢٠١٩م.
- ظاهرة العدول عن المطابقة، حسين عباس الرفايعة، تحقيق: عبد الفتاح الحموز ،جامعة مؤتة، الأردن، ط١، ٢٠٠٣م.
- ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية، د. إسماعيل أحمد عمايرة، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد (١٦٢) الجزء (٢)، ٢٠١٥م.
- الظواهر النحوية القرآنية في دراسات المحدثين دراسة وتقويم (أطروحة دكتوراه)، ميثاق حسن عبد الواحد الصالحي، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠١٦م.
- العدول عن المطابقة في القرآن الكريم، د. محمد عبد الشافي القوصي، مجلة البيان، ٢٠١٩م.
- العدول النحوي في ضوء القراءات القرآنية، د. مثنى يوسف حمادة، وزارة التربية، الكلية التربوية المفتوحة، (د ـــــ ـــت).
- العلاقات السياقية لظاهرة العدول في العربية، د. عمر خليل، مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، فلسطين، ط٣، ٢٠١٠م.
- الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني(ت٦٤٣هـ) تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ ـــــ٢٠٠٦م،
- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، علي بن الحسين الباقولي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: د. محمد أحمد الداني، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط١,١٤١٥ه ـــــــــ ١٩٩٥م.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري(ت٥٣٨هـ) تحقيق: مصطفى حسين أحمد ،دار الريان للتراث، القاهرة، ط٣، ١٤٠٧هـ ـــــ١٩٨٧م.
- الكواكب الدريَّة على متمّمة الآجرومية، محمد عبد الباري الأهدل، تحقيق: قاسم النوري، دار الفجر، دمشق، ط١، ١٤٣٨هـ ـــــ ٢٠١٧م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، تمّام حسّان، عالم الكتب، ط٥، ١٤٢٧هـ ـــــ٢٠٠٦م.
- معاني القرآن، أبو الحسن المجاشعي البصري الأخفشالأوسط (ت٢١٥هـ) تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ ـــــ١٩٩٠م.
- معاني القرآن، الفرَّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد النجار، وعبد الفتاح الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١،(دـــ ت).
- معاني القرآن، أحمد بن محمد النحّاس (ت٣٣٨هـ) تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩ه.
- معجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، ط١، ١٤٢٢هـ ـــــ ٢٠٠٢م.
- المحرر لوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد بن عبد الحق ابن عطية (ت٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ه.
- المطابقة في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم، فراس عصام شهاب السامرائي، تحقيق: عدنان عبد الكريم جمعة، جامعة البصرة، ١٤٢٦ه، ـــــ٢٠٠٥م.
- المغايرة في الدرس اللغوي في العربية،(رسالة ماجستير)، سلامة عايش السراحين، إشراف: د. سيف الدين الفقراء، جامعة مؤتة، ٢٠١١م.
- المغني الجديد، محمد خير حلواني، دار الشرق العربي، ط١، ٢٠٠١م.
- المقتضب، المبرَّد / أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف ـــــ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ ـــــ١٩٩٤م.
- من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٦م.
- النحو الوافي، عباس حسن (ت١٣٩٨هـ)، دار المعارف، مصر، ط١٥، (دـــ ت)